المقدمـــــة

عزيزى القارئ، ربما تتساءل لماذا أكتب هذا الكتاب، ولمن أكتبه، ولماذا أقدمه الآن وبعد مرور أكثر من ٢٧ عامًا على انتهاء خدمتى بالقوات المسلحة، فى الوقت الذى امتلأت فيه المكتبة العامة والمكتبة العسكرية بالعشرات من الكتب والمراجع التى تناولت مراحل الصراع العربى الإسرائيلى مجتمعة أو منفردة، من وجهات النظر المختلفة، سياسية كانت أم تاريخية أم عسكرية، وبشكل عام أو تخصصى.

ولطالما شعرت فى قرارة نفسى أن هناك من ينتظرون هذا الكتاب، وهم ليسوا - كما سيتبادر إلى الذهن للوهلة الأولى - المفكرين والمحللين والمؤرخين العسكريين فقط، وإنما أعتقد أن هذا الكتاب ينتظره - أو على الأصح سيستقبله - قطاع كبير من الشباب فى مختلف القطاعات العسكرية والمدنية، هؤلاء الذين لمست حرارة استقبالهم لى، وسعدت باهتمامهم بالاستماع إلى حديثى فى الندوة التى أقامتها القوات المسلحة فى أكتوبر عام ١٩٩٨، بمناسبة مرور ٢٥ عامًا على حرب أكتوبر ١٩٧٣ المجيدة.

والحقيقة أننى على مدى السنوات السبع والعشرين التى تلت انتهاء حرب أكتوبر ١٩٧٣ لم أنقطع عن متابعة ما صدر عنها من الكتاب المصريين أو الإسرائيليين، ولم أنقطع عن الكتابة عن أحداثها التى عايشتها لحظة بلحظة كقائد للجيش الثالث الميدانى، وكثيرًا ما استضافتنى العديد من الجهات لإلقاء المحاضرات، والاشتراك فى الندوات التى أقيمت عن هذه الحرب التى سطرت فى التاريخ المصرى استعادة الكرامة والثقة للجيش المصرى العريق، كما سجل لى العديد من البرامج التليفزيونية فى العديد من المناسبات وأهمها بالطبع أعياد

القوات المسلحة فى ذكرى الانتصار فى أكتوبر، وكذلك فى أعياد تحرير سيناء فى أبريل من كل عام، وعلاوة على ما سبق، فقد كان لى شرف الاشتراك فى لجنة كتابة تاريخ الحرب والإشراف والمراجعة للعديد من المراجع العسكرية التى صدرت عن حرب أكتوبر ١٩٧٣، وأيضًا عن حرب يونيو ١٩٦٧.

وبعد هذا المشوار الطويل من الاشتراك فى الحروب بين مصر وإسرائيل أثناء خدمتى بالقوات المسلحة، ثم القراءة والكتابة والحديث عنها بعد انتهاء خدمتى بالقوات المسلحة، تكونت لدى حصيلة ضخمة من الكتابات والتسجيلات عن هذا الموضوع، وفى الوقت نفسه داوم القادة والزملاء الذين نشروا مذكراتهم عن تلك الحرب وبعض الشخصيات المهمة الذين يعلمون دقائقها على حثى على كتابة مذكراتى وخبراتى وأفكارى، خاصة فى حرب يونيو ١٩٦٧ وحرب الاستنزاف وحرب أكتوبر ١٩٧٣ وما بينهما من مراحل، وهى الفترة التى قمت فيها بدور مهم فى الأحداث كما سنرى فيما بعد.

أما الذين لم يكلوا أو يملوا أو يفقدوا الأمل فى أن أكتب مذكراتى أو كتاب عن هذا الموضوع، فهم فى الحقيقة أسرتى الصغيرة : زوجتى السيدة نعمت فهمى، التى شاركتنى رحلة الحياة منذ عام ١٩٤٢ أى بعد تخرجى بعامين، وأبنائى : طارق الذى كان ضابطًا بسلاح المدرعات، وشاركنى القتال تحت قيادتى فى نفس اللواء المدرع أثناء حرب يونيو ١٩٦٧، وكان له الفضل فى إنقاذى أثناء القتال، وطلال الذى هاجر عام ١٩٦٨ إلى الولايات المتحدة الأمريكية عقب تخرجه من كلية الهندسة فى عام ١٩٦٧، وأصبح ذا مركز مرموق بإحدى الشركات الأمريكية العالمية الكبرى، ومع ذلك داوم على مطالبتى أن أكتب عن حياتى العسكرية، وما تم خلالها من أحداث، خاصة الحروب بين مصر وإسرائيل باعتبارها خبرة، ليس من حقى أن أخفيها، أو أن أحتفظ بها، مهما كانت الأسباب والدوافع.

وبعد تلك السنوات الطويلة، وبعد أن قرأت ما كتبه زملائى السابقون فى الخدمة العسكرية، وما كتبه كبار الكتاب المصريين عن الصراع العربى الإسرائيلى بمراحله المختلفة، وبعد أن قرأت العديد من الكتب التى كتبها قادة إسرائيليون

سابقون أو كتاب أو صحفيون إسرائيليون، ومع متابعتى اليومية لأحداث الصراع العربى الإسرائيلى، أحسست أن الوقت قد حان؛ لكى أعيد ترتيب وصياغة واستكمال ما كتبته وقلته فى السنوات الطويلة السابقة، حتى أستكمل بعض الأجزاء التى لم تشملها الكتابات العسكرية أو المدنية، حيث لن يكتبها سواى، محاولاً أن أضيف للمكتبة سجلاً متكاملاً بقدر ما أستطيع عن الصراع بصفة عامة، والعمليات العسكرية بصفة خاصة مع التركيز على حربى يونيو ١٩٦٧ وأكتوبر ١٩٧٣ والفترة التى بينهما ؛ لأهمية تلك الفترة فى تاريخنا ؛ ولكى تكون تسجيلا أمينًا من أحد أفراد جيل أكتوبر ٧٣ ، أضعه فى أيدى الأجيال القادمة التى أتمنى لها النجاح فى الحفاظ على بلدنا وعروبتنا ومقدساتنا.

وربما يجد القارئ فى بعض أجزاء الكتاب تفاصيل مطولة للأحداث، فأرجو منه أن يتقبلها بصدر رحب، فقد تكون مهمة للغاية لقارئ آخر، وقد يحس القارئ أحيانًا أنه يحتاج إلى تفاصيل أكثر فى بعض الأجزاء، فأرجو منه أن يعذرنى عن مدى علمى ومحاولتى أن أضم فى هذا الكتاب أهم ما يجب أن يعرفه القارئ من وجهة نظرى، وليس كل ما يمكن معرفته، ويمكنه الاستعانة بقائمة المراجع التى استعنت أنا بها فى الحصول على التفاصيل التى ينشدها.

وقد اعتمدت فى كتابتى للأحداث والحروب التى لم أشترك فيها اشتراكًا مباشرًا على الوثائق المدققة والمصادر المتعددة، بينما اعتمدت فى كتابتى عن الأحداث والحروب التى اشتركت فيها اشتراكًا مباشرًا على تسجيلى الشخصى للأحداث والحقائق التى تمت فعلاً، وأرجو أن أكون بهذا الكتاب قد أضفت إلى مكتبة العلم والمعرفة الذاخرة جزءًا يسيرًا يعين الباحث وطالب العلم والمعرفة على بلوغ هدفه.

وفى النهاية أوجه شكرى للقوات المسلحة التى أعطتنى الكثير، وأخص بالشكر والعرفان رجال اللواء ١٤ مدرع مستقل، والفرقة الرابعة المدرعة، والجيش الثالث الميدانى وجميع من كانوا يومًا تحت قيادتى.

وما توفيقى إلا بالله.

السيرة الذاتية للكاتب

فى البداية أرجو من القارى العزيز أن يفسح لى صدره؛ كى أعرفه بنفسى من خلال عرض سريع وموجز لمسيرة حياتى بصفة عامة وحياتى العسكرية على وجه الخصوص.

فى عام ١٩٣٩ أعلنت الكلية الحربية عن قبولها لدفعة جديدة، وكنت فى هذا الوقت طالبًا بالسنة الثالثة بكلية التجارة بجامعة القاهرة، واتفقت مع بعض الأصدقاء، وتقدمنا إلى الكلية الحربية، وعندما سئلت عن المرحلة الدراسية التى أنهيتها، أجبت بأننى قد أنهيت السنة الثالثة فى كلية التجارة، ودهش اللواء إبراهيم خيرى الذى كان يفحص أوراقنا وقبلنى على الفور، فدخلت الكلية الحربية فى ذلك العام ١٩٣٩.

ونظرًا لظروف الحرب العالمية الثانية والمعارك التى كانت تدور فى الصحراء الغربية لمصر بين القوات الإنجليزية والقوات الألمانية والإيطالية، فقد تخرجت دفعتنا من الكلية الحربية بعد عام واحد، أى فى سبتمبر سنة ١٩٤٠.

وكان مدير سلاح الفرسان الملكى فى ذلك الوقت، وهو الأمير إسماعيل داود، محبًا للخيل والفروسية وطوال القامة، وكنت أتمتع بطول القامة، وأجيد ركوب الخيل وتمرينات الفروسية، وعند تخرجى عينت فى سلاح الفرسان الملكى الذى كان يتكون من ثلاثة ألايات (أفواج) هم: ألاى الخيالة الذى عينت فيه قائد فصيلة، وألاى الدبابات، وألاى السيارات. وفور التخرج كلفت مع وحدتى بالتمركز فى صحراء العامرية التى كانت صحراء تمامًا فى هذا الوقت بمهمة الدفاع ضد قوات المظلات الألمانية، واستمرت هذه المهمة عدة شهور، وانتهت مع نهاية التفوق الألمانى فى معارك شمال أفريقيا بهزيمتهم فى معركة العلمين.

ونظراً لتميزى فى تمارين ومسابقات ركوب الخيل، فقد تم انتدابى من ألاى الخيالة إلى مركز تدريب الفرسان، حيث توليت قيادة جناح الخيالة، وبعد مضى ثمانى سنوات على تخرجى رقيت إلى رتبة اليوزباشى (النقيب) بعد أن تولى محمد حيدر باشا وزارة الحربية، وأفرج عن الترقيات التى كانت متوقفة لأكثر من ٦ سنوات.

ولقد كان تحولى من ضابط خيالة إلى ضابط دبابات نتيجة لقصة طريفة، بطلتها زوجتى العزيزة التى أتمنى لها الصحة والعافية وطول العمر، فقد كان فى زيارتى بالمنزل صديقى وزميلى عبد الرحمن فهمى، الذى كان قد دخل الكلية الحربية بعدى بعام، وتخرج فى عام ١٩٤٢ وعين فى ألاى السيارات، ولاحظت زوجتى أن الحديث بينى وبين عبد الرحمن فهمى قد تطرق إلى معلومات كثيرة عن العربات والدبابات، وكان عبد الرحمن فهمى يجيب على أسئلتى، ويفيض فى شرح خصائصها وإمكانياتها، وأنا أستمع إليه باهتمام شديد، وبعد انتهاء الزيارة سألتنى زوجتى عمن سيكون القائد إذا أدت ظروف العمل إلى أن أكون مع عبد الرحمن فهمى فى وحدة واحدة؟ وأجبتها بأننى سأكون القائد بالطبع، واستفسرت منها عن سبب سؤالها، فأجابت بأنها لاحظت أننى كنت طوال الزيارة أسأل وعبد الرحمن فهمى يجيب، فكيف يمكن أن أكون قائداً له، فى الوقت الذى تفوق معلوماته معلوماتى ؟!

وفهمت وجهة نظرها وغيرتها على مستوى كفاءتى فى عملى، ولم أنم ليلتها، وفى صباح اليوم التالى توجهت إلى الأميرلاى (العميد) سعد الدين صبور مدير سلاح الفرسان آنذاك، والذى كان يعرفنى جيداً، وقصصت عليه ما حدث، وطلبت منه الانتقال من الخيالة، فوافق على الفور، وأرسلنى إلى مدرسة الدبابات حيث التحقت بدورة دراسية عن الدبابات، كانت معقودة لبعض الطلبة العرب، وفى عام ١٩٤٨ حصلنا على دورة تدريبية أخرى على الدبابة سنتوريان، التى كانت مصر على وشك شرائها من إنجلترا، وكانت الدورة التدريبية منعقدة فى الألاى الرابع دبابات الإنجليزى بقاعدة قناة السويس.

وفى عام ١٩٥٠ تقدمت إلى بعثة إلى إنجلترا للتخصص فى صيانة وسواقة الدبابة سنتوريان، ونجحت فيها بتفوق، وبعد عودتى من البعثة توليت قيادة جناح الصيانة والسواقة بمدرسة الدبابات، ثم انتقلت إلى جناح التكتيك بالمدرسة، وفى عام ١٩٥٢ حصلت على بعثة قيادة كتيبة دبابات فى الولايات المتحدة الأمريكية، وشملت الدراسة صيانة وسواقة الدبابات، بالإضافة إلى التكتيك والمدفعية والتدريب والشئون الإدارية، وبعد عودتى من البعثة عينت قائداً لجناح التكتيك بمدرسة المدرعات.

ثم بدأت رحلتى الطويلة مع قيادة الوحدات المدرعة، عندما عينت قائداً للأورطة (كتيبة) الثانية دبابات فى الألاى التاسع دبابات سنتوريان، وبذلت جهداً كبيراً لتدريب ضباطها وجنودها على ما تعلمته فى البعثات التى حصلت عليها، وفى هذه الكتيبة رقيت إلى رتبة البكباشى (المقدم) وكنا فى منطقة الجفجافة بوسط سيناء، وفى ٢٣ مارس ١٩٥٦ توليت قيادة الألاى التاسع سنتوريان الذى كان يقوده قائمقام (عقيد) قبل ذلك، و كان الألاى فى منطقة «أبو عجيلة» ثم أعيد تمركزنا فى منطقة القناة فى ٣٠ يونيو من العام نفسه، ومع بداية العدوان الثلاثى على مصر فى أكتوبر ١٩٥٦ كلفنا بمهمة الدفاع عن القاهرة.

وفى عام ١٩٥٨ أرسلت فى بعثة قادة ألوية وأركان حرب لمدة عامين فى الاتحاد السوفييتى، وعندما عدت منها بتقدير امتياز، عينت فى يوليو ١٩٦١ قائدا للواء ١١ مدرع ثقيل، وكان مسلحا بالدبابة الروسية الثقيلة من طراز G S (وهى اختصار لاسم جوزيف ستالين أحد القادة البارزين للثورة الشيوعية فى روسيا، ورئيس الاتحاد السوفييتى فيما بعد) واستمرت قيادتى لهذا اللواء حتى يناير ١٩٦٥ .

وفى ١٤ يناير ١٩٦٥ توليت قيادة اللواء ١٤ مدرع مستقل المسلح بالدبابة المتوسطة الروسية الصنع ت ٥٤، وكان لى شرف قيادة هذا اللواء فى حرب يونيو ١٩٦٧، حيث تمكن اللواء بقيادتى من إنزال خسائر كبيرة بالقوات الإسرائيلية فى إحدى المعارك القليلة الناجحة للوحدات المصرية فى هذه الحرب، رغم الظروف التى أحاطت بها، والتى سنأتى إليها تفصيلاً فيما بعد.

وفى ٥ أغسطس ١٩٦٧ عينت قائداً للفرقة الرابعة المدرعة، حيث توليت قيادتها لمدة عامين تقريبًا، ثم حصلت على دورة كلية الحرب العليا بأكاديمية ناصر العسكرية العليا، وبعد انتهاء الدورة عينت فى ١٢ سبتمبر ١٩٦٩ رئيسًا لأركان حرب الجيش الثالث الميدانى.

وفى ١٨ نوفمبر ١٩٧٠، أى بعد نحو ٣٠ سنة من تخرجى من الكلية الحربية، توليت قيادة الجيش الثالث الميدانى، الذى حصلت معه على شرف الاشتراك فى حرب أكتوبر المجيدة التى انتهت بتحرير سيناء بعد أكثر من ٦ سنوات من الاحتلال الإسرائيلى.

وبعد نهاية حرب أكتوبر ١٩٧٣، عينت فى ١٢ ديسمبر ١٩٧٣ مساعداً لوزير الدفاع ورئيسًا لهيئة تفتيش القوات المسلحة حتى أول أبريل عام ١٩٧٤، حيث أنهيت خدمتى بالقوات المسلحة بعد حوالى ٣٤ سنة فى الحياة العسكرية.

ثم انتقلت بعد ذلك إلى الوظائف المدنية، حيث عينت محافظًا لمحافظة لسوهاج ثم محافظًا لمحافظة الشرقية، وفى عام ١٩٨٢ منحنى الرئيس حسنى مبارك رتبة الفريق الفخرية، ثم فى ٢٥ ديسمبر ١٩٨٦ منحتنى جامعة المنوفية درجة الدكتوراه الفخرية.

وخلال تلك الرحلة الطويلة التى بدأت بالاشتراك فى الحرب العالمية الثانية كقائد لفصيلة خيالة، وانتهت بنصر أكتوبر ١٩٧٣ المجيد كقائد للجيش الثالث الميدانى، حصلت على العديد من الأوسمة والنياشين، أبرزها ميدالية الخدمة الطويلة وميدالية الخدمة الممتازة، ثم وسام الجمهورية، **ولكن أبرز هذه الأوسمة والنياشين على الإطلاق هو وسام نجمة الشرف العسكرية الذى منحته الدولة لى تقديراً لقيادتى للجيش الثالث الميدانى فى حرب أكتوبر المجيدة.**

ولاشك فى أن الله - سبحانه وتعالى - هو صاحب الفضل الأعظم على فيما حققته طوال حياتى وهو الذى جعل لكل شىء سببًا، ولذلك فليسمح لى القارئ أن أقول :

إذا كان اللواء إبراهيم خيرى الذى وافق على التحاقى بالكلية الحربية عام ١٩٣٩ هو السبب فى أن أتجه إلى السلك العسكرى، والأمير إسماعيل داوود مدير سلاح الفرسان الملكى هو السبب فى تخرجى كضابط فى سلاح الفرسان الملكى، والأميرألاى سعد الدين صبور، هو الذى شجعنى وساعدنى على الانتقال من الخيالة إلى المدرعات، وإذا كان الفضل فى هذا التحول الحاسم فى حياتى من ضابط خيالة إلى ضابط دبابات يعود بالقطع إلى زوجتى العزيزة، بعد تلك المناقشة التى سبق أن ذكرتها فى البداية، إلا أن الفضل فيما حققته من نجاح طوال مدة خدمتى بالقوات المسلحة، ثم الوظائف المدنية فيما بعد يعود بالقطع إلى ما ورثته وتعلمته من والدى ـ رحمه الله ـ من الجدية والانضباط والحسم المختلط بحنان الأب وحكمة القائد، تلك الصفات التى كان لها أعظم الأثر فى أن أكون طوال فترة خدمتى بالقوات المسلحة ملتحمًا بضباطى وجنودى، رغم حدتى وقسوتى فى بعض الأحيان، الأمر الذى كان دافعًا أساسيًا لهم للتفانى فى أداء مهامهم على أفضل وجه فى إطار الظروف المحيطة مهما كانت صعوبتها وقسوتها.

* * *